

الفصل الخامس

من كتابات بعض المنصفين للإسلام من المستشرقين

هناك الكثيرون من كتاب الغرب المنصفين للإسلام الذين كتبوا عن عظمة هذا الدين، وفندوا الأكاذيب التي روجها البعض ممن كتبوا عن أنه دين (الجهاد) بمعنى (العدوان) على الغير، وذلك عن تعمد للإساءة إليه، أو عن جهل وعدم فهم. وفي كتاب مهم للأستاذ (رجب البنا)^(١): قدم نماذج من الكتاب الذين تحدثوا عن الإسلام بإنصاف وفندوا الأكاذيب المنتشرة عن (الجهاد في الإسلام).

ومن أحدث الكتب التي ترجمت هذه الأيام، كتاب للمفكر (مايكل مورجان) الدبلوماسي السابق، مؤسس ورئيس منظمة New Foundations For peace أسس جديدة للسلام، تحت عنوان (تاريخ ضائع)^(٢) ويتحدث عن: حضارة الإسلام ومكانتها التي أثارت اهتمام العالم وتطلعاته، والأثر الذي أحدثه المسلمون الأوائل في المجتمع الحديث، وفي العلوم والثقافة، وكيف أن عصور القادة المسلمين وعلى رأسهم النبي محمد ﷺ تجلت فيها مظاهر التسامح الديني^(٣).

(١) رجب البنا- المنصفون للإسلام في الغرب- دار المعارف سنة ٢٠٠٥م.

(٢) مايكل هاميلتون مورجان- ترجمة أميرة نبيه بدوي- تاريخ ضائع- نهضة مصر - ترجمة أميرة نبيه سنة ١٩٧٧م.

(٣) مايكل هاميلتون مورجان- ترجمة أميرة نبيه- تاريخ ضائع سنة ١٩٧٧.

إنه تاريخ يزخر بالأفكار العظيمة، ويعزز قيم التسامح والتعايش، ويعج بالإنجازات الفكرية، ومن أهم ما تضمن الكتاب عن القيادة المستنيرة). قوله أن السلوك المستنير الديمقراطي، والتوصل إلى إجماع الرأى، وفض المنازعات والاستجابة مع آراء العامة، قد تجسدت هذه الأمور كلها فى القرآن الكريم، وفى أفعال النبى ﷺ، وأن البحث فى الوثائق القديمة يشير إلى أن أول القادة المسلمين ممن حاولوا تطبيق رؤية القيادة بشكل عملى هم (الخلفاء الراشدون)، وعلى وجه الخصوص (أبو بكر الصديق) وهو أول خليفة بعد النبى محمد ﷺ، وكذا (علّى) وهو ابن عم النبى ﷺ، إنَّ مثال قيادة (أبى بكر الصديق) مُحْتَفَظ به فى تصريحات غاية فى البلاغة^(١).



كتاب الإسلام فى عيون غربية

بين افتراء الجهلاء وانصاف العلماء للدكتور (محمد عمارة)

يؤكد أنه لا مشكلة فى الإسلام بين الإنسان الغربى أو العلم الغربى إنما المشكلة مع مؤسسات الهيمنة الغربية هى السياسية والكنسية، والإعلامية.

(١) مايكل هامليتون مورجان- نهضة مصر للطباعة والنشر- تاريخ ضائع ص ٢٥٤.

ففى مشروع هذه الهيمنة، بدأ الافتراء على الإسلام منذ ظهور الإسلام. وفى هذا الكتاب يقدم الصورة الحقيقية (للإسلام الدين)، والدولة والأمة والحضارة، شهادات غربية على تجذر الافتراء الغربى على الإسلام، وشهادات غربية لعشرات من أعلام الثقافة الغربية تصف الإسلام على النحو الذى يجب أن يتعلم منه القراء الحقيقة، أما الكاتبة البريطانية (كارين أرمسترونج)^(١) فقد اهتمت فى عدة كتب لها بتصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة التى تبناها الكثيرون فى الغرب ضد الإسلام. ومن هذه الكتب كتاب عن (سيرة النبى ﷺ)، وكتاب (محمد نبى لزماننا). وفى الفصل الأول من كتابها عن (سيدنا محمد ﷺ) أرجعت أسباب عداوة الغرب للإسلام والتهم التى كىلت للنبي إلى (الجهل والخوف).

وفى كتاب (محمد نبى لزماننا) أكدت الكاتبة أن محمداً شخصية نموذجية له دروس مهمة ليس للمسلمين فحسب، ولكن للعالم الغربى أيضاً، وأن حياته كانت قائمة على (الجهاد) الذى لا كلل فيه ضد الطمع، والظلم، والغطرسة، والتكبر، وأن العالم فى حاجة إلى (محمد نبى لزماننا).

وعن الجهاد تقول كارين أرمسترونج:

إن كلمة الجهاد، لا تعنى الجهاد المقدس وإنما تعنى الكفاح، فلقد كافح (محمد) كفاحاً مريراً لجلب السلام إلى بلاد العرب التى مزقتها الحروب، ولقد أدرك محمد أن بلاد العرب كانت فى نقطة تحول وأن

(١) كارين أرمسترونج- محمد- ترجمة د. فاطمة نصرود. محمد عنانى شركة صحارا للطباعة- مدينة نصر.

الطريقة القديمة فى التفكير لا تكفى لإرساء قواعد السلام فى بلاد العرب لذلك حمل على نفسه وعاتقه جهودًا خارقة مبدعة لإخراج حل جديد كلى لبلاد العرب.

إن محمدًا كان يمتلك عبقرية عميقة مكنته من إقامة الدين وتأسيس عادات وتقاليد ثقافية، لم تستند على السيف، ولكن بُنيت على السلام والمصلحة المبينة، وتمنت الكاتبة أن يوجد فى هذا الزمان رجال يعملون مثل أعمال محمد ولذلك كان عنوان كتابها (محمد نبى لزماننا).

وقدمت (كارين أرمسترونج)، مفهومًا (للجهاد) يختلف عن مفهوم الدعاية المسمومة المحمومة..^(١) فقد خاض (محمد) معارك إيجابية، واعتك مع الواقع ليردع الظلم، ويدفع العدوان، أى قدّم الفعل الإيجابى لتحقيق العدالة ومقاومة الظلم، فحروب الإسلام كانت دفاعية، وردًا للعدوان بالإضافة إلى كونها وسيلة لفرض السلام الإسلامى الذى أمكن فى ظلّه وقف حَمَامَاتِ الدم، وإقامة مجتمع عادل أساسه القيم الرفيعة إذا فالجهاد هو النضال المستمر ضدّ الذات، وضدّ الآخر من أجل تحقيق الإرادة الإلهية، والعمل على إسعاد البشرية.

فالإسلام لم ينتصر، ولم ينتشر عن طريق السيف، ولم تكن الحرب وسيلة أو هدفًا له قط، وعلى عكس ذلك فهو دين الاستمرارية مع الماضى، وعقيدة سلم وتسامح.^(٢)

(١) كارين أرمسترونج- محمد- ترجمة د. فاطمة نصر. ومحمد عنانى سنة ١٩٩٢- شركة صحارا للطباعة- مدينة نصر.

(٢) كارين أرمسترونج- محمد- ترجمة د. فاطمة نصر. ومحمد عنانى سنة ١٩٩٢- ص ٩.

وهذا كتاب (محمد رسول الله) للمستشرق الفرنسي (إتيين دينيه)^(١) و(سليمان إبراهيم الجزائري) ترجمة إلى العربية الدكتور عبد الحلیم محمود وابنه محمد عبد الحلیم محمد.

ويقول فيه إن الرسول من بين جميع الأنبياء الذين أسسوا ديانات، هو الوحيد الذي استطاع أن يستغنى عن مدد الخوارق والمعجزات المادية. متعمداً فقط على بدهة رسالته ووضوحها. وعلى بلاغة القرآن الإلهية. وإن في استغناء محمد عن مدد الخوارق والمعجزات المادية لأكبر معجزة على الإطلاق. وقد استحق أن يكون [الرحمة المهداة] وأن يلقب [بنبى الرحمة] حيث وصف بأنه كان هادئ الخلق، حلیم الطبع. لا تكبر فيه ولا خشونة. لا يدعو أحداً إلاً أجابه في الحال، يحب الأطفال، ويلاعبهم ويضمهم إلى صدره الكريم، وقد رُئى مراراً يصف أولاد عمه (العباس) ليتسابقوا، ويعد للفائز منهم جائزة، فيتنافسون في اللحاق بأحضانه والجلوس في حجره. وكان يرفع شأن الجميع، سواءً في ذلك الأشراف والعيبد وقد روى أن الناس أغفلوا مرة إخباره بموت خادمة فقيرة تعمل في المسجد، فغضب لذلك غضباً شديداً وسأل عن المكان الذى دُفنت فيه حتى وجده، فجلس يصلى على الميت.

وكان إذا رفع سائل شفثيه إلى أذنه يكلمه سراً، يميل برأسه إليه حتى يردما الرجل إليه.
ومن كلامه ﷺ:

(١) إتيين دينيه - محمد رسول الله - ترجمة د. عبد الحلیم محمود و د. محمد عبد الحلیم محمود.

[لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه] ولم يرفع يده أبداً على امرأة أو على عبد]. روى أنس الذي خدم الرسول عشر سنين أن سيده لم يلمه أبداً على شيء، ولم يراجعه في أمر، وروى أبو ذر: أنه سمع الرسول يوصي بالخدم والعبيد، ويدعو إلى معاملتهم كإخوة في الدين، وعدم الإجحاف بهم في المأكل والملبس.

روى أعرابي ممن كانوا بغزوة (حنين) أنه كان يلبس نعلين غليظين، فداس عفوفاً في هرج المعركة على قدم الرسول، فضربه بسوطه، من الألم. فبات الأعرابي مهموماً لما بدر منه من إيذاء للرسول ولما كان الصباح، أرسل النبي في استدعائه فأتاه خائفاً حائراً. ولكن النبي طمأنه ووهب له ثمانين نعجة فدية لغضبه، وضربه إنساناً، ومنذ ذلك اليوم، وحلم الرسول يسبق دائماً ثورته وكانت طبيعته الرحمة والمحبة والحنان إذا تألم صغير من افتقاره إلى عطف الأم، وشغل كثيراً بمسائل التربية، وعلاقة الأبناء بالأمهات وكان يؤكد دائماً أن (الجنة تحت أقدام الأمهات) ولم تكن فطنته العجيبة ومعرفته بخطايا النفوس وجواهر الأشياء لتمنعاه من مشاوره أصحابه في كل الشئون.

ويذكر عن عائشة في هذا الشأن أنها لم تر إنساناً قط يحب المشاورة كما يحبها (محمد).

وكانت أخلاق الكرم تحوّل بين الرسول والسحرية المبتذلة أو القاسية. ولكنه كان مرحاً يحب المداعبات التي لا يحرمها الله والتي فيها شيء كبير من الحق إن لم تكن الحق بعينه.

ومن كُتَّاب الغرب الذين أعجبوا بالرسول (جوته)^(١) وهو في (ديوان الغرب والشرق)، يذكر بعض آيات من القرآن الكريم، وفي كتابه (الدراما المحمدية) وقصائده أبدى إعجابه بالرسول ﷺ، ومنها قصيدة (بعثة محمد) وقصيدة أغنية محمد) وظهرت في كتابات (جوته) رؤيته للإسلام التي أكدت غلبة روح التسامح والقدرة على التواصل، والحوار الإنساني، والدعوة إلى عمل الخير.

ومن كتاب الغرب المنصفين للإسلام (ليوتولستوى) في رده على الشيخ (محمد عبده) حين تحدث عن قيم الإسلام وقال: [إذا كان الإسلام هكذا فأنا مسلم].

وممن تأثروا في كتاباتهم بقيم الإسلام وسماحته، لوركا، شاعر إسبانيا الكبير، وليسنج، الأديب الألماني الكبير.

ومن أعظم المستشرقين دفاعا عن الإسلام وإنصافاً له، (أنا ماري شميل) التي تفرغت لدراسته أكثر من ستين عاماً وتركت عشرات الكتب والأبحاث تؤكد رؤيتها النصفة، وقد كتب عنها بإفاضة وحب وإعجاب، الأستاذ (رجب البنا)^(٢).

• وفي كتاب هام للكاتب الأمريكي (جون.ل. اسيزويبو) تحت عنوان: (التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة) انتقد الكاتب من وضعوا الإسلام كعدو بديل للشيوعية مع انهيار الاتحاد السوفيتي وإنهاء الحرب الباردة.

(١) عبد الرحمن صدقي- الشرق والإسلام في أدب جوته- المكتبة الثقافية

(١٠) وزارة الثقافة والإرشاد القومي- مصر (دار القلم).

(٢) رجب البنا- المنصفون للإسلام في الغرب- دار المعارف.

وتأتى أهمية هذا الكتاب أنه صدر قبل أن تقع أحداث سبتمبر فى أمريكا. يقول الكاتب: [الآن بعد موت الشيوعية هم يعتبرون الإسلام العدو المقبل ليختبروا ضده قوتهم].

وهذا التنبيه جاء فى وقت مبكر، لكن للأسف نجح المتطرفون من الجانبين فى إشعال حرب باردة بين (الغرب والإسلام) وهذه الحرب إذا استمرت لن تنتهى بالنصر لأحد.

وفى كتاب شاعر فرنسا الكبير (الفونس دى لاماريتن) حياة محمد- الذى ألفه عام ١٨٥٤- كمقدمة لكتاب ضخيم من سبعة أجزاء عن (تاريخ تركيا)، أظهر إعجابه الكبير بشخصية النبى محمد ﷺ وفكره، وتأثيره العظيم فى الحياة الإنسانية، وتوجهها إلى كل ما يحقق لها الكرامة، والعزة، والسلام والأمان.

